فلسفة الأخلاق بين الفكر الإسلامي والفكر الإلحادي

ـ دراسة مقارنة ـ

د. محروس محمد محروس بسيوني
جامعة قطر

الملخص:

الفلسفة الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والإلحادي بينهما تباين واضح من حيث مصدر الأخلاق ومعيارها. وهذا التباين يبرز تهافت الفكر الإلحادي ودوره الخبيث في هدم الأخلاق وإفساد الأمم والمجتمعات،

وسبب كتابة البحث انتشار الفكر الإلحادي وشيوعه بين الشباب خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، ويهدف البحث لعقد مقارنة بين الفكرين ليميز الخبيث من الطيب، ولرد هذه الهجمة الإلحادية وبيان زيف الفلسفة الإلحادية في المجال الأخلاقي. وقد اعتمدت على مناهج متعددة تحليلي ومقارن ونقدي، وخلصت إلى نتائج عدة منها: أهمية اعتماد الوحي كمصدر ومعيار أصيل للأخلاق، وأن اللذة والمنفعة والعلم لا تصلح أن تكون معيارًا للأخلاق، كما لا يصلح المجتمع أو الضمير أن يكون مصدرًا للأخلاق بمعزل عن الوحي.

Abstract:

There is a clear distinction in both the source and the standard of ethics in Moral philosophy between the Islamic and the Atheist ideologies. This contrast highlights the atheistic thought and its malicious role in destroying morality and corrupting nations and societies,

The reason for conducting this research is the spread of atheistic thought and its spread among youth especially on social media. The research aims at comparing the two ideas to distinguish the malignant from the good, and to respond to this atheistic attack and to falsify atheistic philosophy within the field of morality. The research is based on analytical, comparative and critical approaches, and has reached several conclusions, including the importance of adopting Revelation as an authentic source and standard of ethics, and that pleasure, benefit, and science cannot be a criterion of morality, nor can society or conscience be a source of morality in absence from revelation.

المقدمة

يوجد اختلاف واضح في الفلسفة الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والإلحادي، ويبدو ذلك في تحديد معيار الأخلاق بين المادية والمعنوية والمغالطة الواضحة في اعتبار المصالح المادية وحدها هي المعيار الذي على أساسه تُقَيَّم الأفعال ويتم اعتبارها أخلاقية، فهناك أعمال مثل التضحية والإيثار لا يمكن تقييمها ماديًّا وفي الوقت نفسه لا يمكن إخراجها من زمرة الأفعال الأخلاقية.

وإذا وجد تشابه أخلاقي ظاهري بين أهل الإسلام ومعتنقي الإلحاد في سلوك ما، فإن هذا لا يعني الاتفاق في الفلسفة التي دعت كلا الفريقين للالتزام بهذا السلوك، فشتان بين إنسان يقوم بالعمل الأخلاقي وهو مؤمن بمنظومة أخلاقية يعلم أنه محاسب عليها أمام إله قادر عليم، وآخر يقوم بالسلوك الأخلاقي لمصلحة ذاتية ولا يكترث بسلطة خارجية لها القدرة على الحساب والجزاء.

ومما لا شك فيه أن من المشكلات العميقة في الفكر الإلحادي مسألة الأخلاق. وليس الأمر متعلقًا بالحكم على بعض الأفعال من حيث حسنها أو قبحها، ولكن الأمر أعظم من ذلك، فالأمر متعلق بوجود القيم الأخلاقية من الأساس في بنية هذا الفكر، وحتى عند الإيمان بنماذج أخلاقية معيَّنة، يظهر التباين الواضح بين الفكرين الإسلامي والإلحادي في مصدر هذه النماذج ومعيارها، ومصدر الإلزام فيها، تباينًا يظهر تهافت الفكر الإلحادي في المجال الأخلاقي، ويبرز في الوقت نفسه تكامل النظرة الفلسفية الإسلامية للأخلاق وشمولها وقدرتها على الإجابة عن مشكلات فكرية لا زال الفكر الإلحادي يبحث لها عن حل ولن يجد.

ومن المشكلات التي لم يجد (ولن يجد) لها أهل الإلحاد حلاً هي الإجابة عن سؤال مهم وهو هل للقيم المطلقة وجود أم لا؟ والواضح للعيان أن إنكار الملاحدة لوجود الله دفعهم إلى إنكار الكثير من الأمور التي لا تثبت بدون الإيمان بالله، كما أن إنكار الإله جعل كل شيء مباحًا، فبدون الإله لا يوجد شيء مطلق، ولا حياة أخرويَّة يحاسب فيها الإنسان. .

إن المادية الإلحادية لا تدعم الأسس الفكرية للأخلاق. ومن الممكن أن نرى ملحدًا له خلق وهذا أمر طبيعي، لأنه ممكن. ولكن في الوقت ذاته هو مغاير للفلسفة الإلحادية التي يؤمن بها، وعلى العكس من ذلك نرى رجلًا متدينًا يسلك سلوكيات غير أخلاقية، وهذا أيضًا ممكن رغم أن ذلك مخالف للفلسفة الأخلاقية التي يؤمن بها. .

ومن هنا صارت الأهمية بالغة لبيان الأسس الفكرية للفلسفة الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والإلحادي ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة.

أهداف البحث

1- الكشف عن الفروق الجوهرية للمنظومة الأخلاقية بين فلسفة الأخلاق في الفكر الإسلامي والإلحادي من حيث المصدرية والمعيارية والتطبيق.

2- ترسيخ ثقة المؤمنين بدينهم، والوصول لطمأنينة النفس وشفاء الصدر من أوهام وشبهات أهل الإلحاد من خلال نقده وبيان زيفه.

3- وقاية المجتمع المسلم عامة وشباب المسلمين خاصة من الدعوات الهدامة للأخلاق على يد الملحدين سواء على مستوى الفرد أو الجماعة.

مشكلة البحث

يعاني العالم كله في هذا العصر من موجه إلحادية عاتية تُعدُّ خطرًا على كل الأديان السماوية ولا سيمَّا الدين الإسلامي، بما تمثله هذه الموجة من خواء عقدي وخلل أخلاقي يقوض بنيان المجتمعات ويهدم قيم الأفراد والحضارات.

ونظرًا لانتشار هذه الدعوات الإلحادية خاصة على وسائل التواصل الاجتماعي، فقد أُشْكِل الأمر على بعض الشباب المؤمنين لمعرفة الصواب من الخطأ في شأن الأخلاق، وما الفارق بين فلسفة الفكر الإسلامي والإلحادي في هذا الشأن؟ وجاءت مشكلة البحث في السؤال التالي: .

ما الفارق بين فلسفة الفكرين الإسلامي والإلحادي في النظام الأخلاقي؟

ومن هنا جاءت أسباب البحث كما يلي:

1- الرغبة في بيان الاختلاف الواضح بين الفلسفة الفكرية الإسلامية والإلحادية في تحديد مصدر الأخلاق ومعيارها.

2- الخلط بين القيم الأخلاقية والسلوك الأخلاقي عند المتدينين، فيدَّعي الملحدون أن الأديان لا تراعي الأخلاق، ويستدلّون على ذلك بالجماعات التي تنتمي إلى الأديان وتمارس الإرهاب والعنف ضدَّ غيرهم من البشر.

3- ادِّعاء الملاحدة أن أهل الأديان لا يملكون منظومةً أخلاقيةً تعتمد على العقل بل على النصوص فحسب.

أسئلة البحث:

س1- ما مكانة الأخلاق في الفلسفة الفكرية عند أهل الإسلام والإلحاد؟

س2- ما السمات المميزة والفروق البارزة لفلسفة الأخلاق من حيث مصدرها ومعيارها في الفكرين الإسلامي والإلحادي؟

س3- كيف نرد على شبهات الملحدين في قضية الأخلاق.

منهج البحث:

اعتمدت على مناهج متعددة: النقدي، والتحليلي، والمقارن.

التمهيد

منزلة الأخلاق في الفكرين الإسلامي والإلحادي

إن بيان منزلة الأخلاق في الفلسفة الفكرية لكلا الفريقين يوضح قيمتها وأهميتها، ويجلي في الوقت ذاته علاقتها بمعتقد الإنسان، ودورها في إنشاء السلوك أو تعديله وتهذيبه، ويبين ما عليه الفكر الإلحادي من ضلال. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"(1).

1- منزلة الأخلاق في الفكر الإسلامي

لقد امتازت مكانة الأخلاق في الفكر الإسلامي بالتلازم بين العقيدة والأخلاق، حتى إن رسالة الإسلام تم حصر غايتها في إقرار الأخلاق وإتمامها، والتي تُعَدُّ مناط التفاعل والتواصل المجتمعي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"(2). والحقيقة أيضًا أن هذا الجانب -جانب الأخلاق والقيم-لم يُوَفَّ حقُّه إلا في حضارة المسلمين، تلك التي قامت في الأساس على القيم والأخلاق، وذلك بعد أن تشرذمت وتفرَّقت وأُهْمِلَتْ بين الأمم والحضارات.

الهدف إذن من علم الأخلاق - كما يحدده ابن مسكويه "421هـ" أن نحصل لأنفسنا خُلُقًا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة، وعلى ترتيب تعليمي"(3).

وقد التقت الأخلاق مع العقيدة في وحدة المصدر وهو الوحي المعصوم، وقد استمدت الأخلاق في الإسلام القوة من هذه المصدرية المقدسة، فكما حدَّد الوحي للمسلمين ما يجب عليهم اعتقاده، بيَّن لهم كذلك ما يجب عليهم أن يتخلَّقوا به. وبذلك حدَّد للمسلمين الإطار الخُلقي الذي ينبغي لهم

أن يسيروا عليه، ولم يترك ذلك لعقولهم ولا لأهوائهم. وهذا أعطي النظام الأخلاقي في الإسلام ثباتًا وقوةً، فلم يخضع لتطوير ولا تغيير، ولم تتغير ملامحه تبعًا

لتغيُّر العقول والأمزجة والأهواء "ولم يتخذ عادات المجتمع وتقاليده مصدرًا له بعيدًا عن الدين كما فعل الغرب"(4).

والسر في عدم ترك النظام الأخلاقي للبشر ليستحسنوا ما يشاؤون ويستقبحوا ما يشاؤون، هو ما جُبل عليه البشر من اختلاف الأمزجة والأهواء، وتباين المشارب والأذواق، واختلاف المصالح والمنافع، وتعدد التقاليد والعادات، والتفاوت في إدراك اللذة من عدمها، وكل هذه الأمور تتسم بالاختلاف والتباين بين البشر زمانًا ومكانًا، بل وفي الزمن الواحد والبلد الواحد، فالعادات قد تطمس الضمير الإنساني، والعقل قد يسخر نفسه لخدمة الغرائز البهيمية التي تهوي بقيمة الإنسان إلى دركة أشد من الحيوانية، ويتباين الحكم على الفعل الواحد بين الأشخاص لاختلاف العقول.

2- منزلة الأخلاق في الفكر الإلحادي

لقد أعمل الملحدون عقولهم، فتصوروا الألوهية والإنسان والكون تصورًا إنسانيًّا محضًا مقطوع الصلة بالدين، تخلصًا منه، أو زهادةً فيه. وبذلك يكون الفكر الإلحادي هو: التصور الذي ينشئه الملحد عن الألوهية والإنسان الكون والحياة من تلقاء ذاته دون الرجوع لوحي سماوي. "فالإلحاد منهج كهنوتي، لأنه دين متكامل يعطي رؤيةً فلسفيةً متكاملةً للوجود والحياة. لكن في رؤيته تلك يعتمد على أفكار ميتافيزيقية ربما يفوق فيها الوثنيات مجتمعة، فهو يقول بأزليَّة المادة مع أن العلم أثبت خلاف ذلك، ولا يوجد دليل واحد على مقولته تلك، وينكر برهان السببية(5) الذي هو أقوي من القانون وعليه تسير كل قوانين الدنيا، ويؤمن بنسبيَّة الأخلاق(6)." (7)

وقد أثر الفصام النكد بين العقيدة الإيمانية الصحيحة والأخلاق في الفلسفة الإلحادية على الأفراد والمجتمعات تأثيرًا سلبيًّا، حيث تم الاعتماد على فلسفات أرضية محضة مقطوعة عن وحي السماء، وتم الاعتماد على تلك الفلسفات، لبناء نموذج أخلاقي يتبناه أصحاب الفكر الإلحادي، بل ويدعون الناس إليه.

"ولا ينتظر ممن لا يؤمن بالله اليوم الآخر أن يترك شيئا من شهواته إلا أن يخشى الناس، والتاريخ يحدثنا عمن كانوا يتهمون بالزندقة، فيرينا كيف كانت مجالسهم قائمة على شرب الخمور وما يتبعها من الخبائث، وكذلك كانت مجالس أولئك النفر المعروفين بالإلحاد في عهد الدولة العباسية. وهكذا حال ملاحدة العصر"(8).

"ولا يمل الملحد من تكرار الحديث عن الحدود وعن تقييد الحريات، وقد لا يشعر الملحد بأن حديثه عن منع الاختلاط أو إقامة الحدود أو التكاليف بالعبادات لا يقوم من قريب أو بعيد على البحث عن الحق؛ وإنما هي رغبات وشهوات يحاول إلباسها لباسًا عقليًا زائفًا لا يكاد يسترها، فتتعرى عند فحصها أمام الطرح العاقل البعيد عن الهوى"(9).

وقد تبين أن "من المشكلات العميقة في بنية الفكر الإلحادي ما يتعلق بمسالة القيم الأخلاقية، وهي مشكلة أعمق من مجرد الاختلاف حول هذه القيم حسنًا وقبحًا، أو الاختلاف في وسائل التعرف على الحسن منها وفرزه عن القبيح، بل هي مشكلة تمتد لتصل إلى مستوى السؤال عن وجود تلك القيم الأخلاقية المطلقة المتعالية على وجود الإنسان أصلاً، والذي يجعل الصدق والعدل مثلاً قيمًا أخلاقيَّةً حسنةً مطلقًا بغض النظر عن وجود الانسان، كما يجعل من الظلم والاعتداء قيمًا أخلاقيةً سيئةً ليس بالنسبة إلى مجتمع إنساني أو سياق زمني خاص بل هي كذلك بإطلاق"(10). إن مما لا شك فيه أن " الإلحاد طوفان فاجر، ونهايته الحتمية هي تفويض أركان النظام الأخلاقي وانهيار الأمم" (11).

ولأن الفضل يرجع للحضارة الغربية الراهنة في سرعة انتشار الفكر الإلحادي الحديث يقول جارودي: "إن الأزمة المعنوية التي تكافح فيها مدنيتنا الغربية منذ ثلاثة قرون، وإنما هي أزمة خلقية"(12).

لقد وجد أهل الأحاد فرصتهم للتَفَلُّتِ من الأخلاق فسارعوا إلى اعتناق كل ما يدعو لذلك، فاعتنقوا الوثنيات؛ لأن" الوثنية توفر غطاءً سخيًا يُبرر المُتع الدنيوية والجنسيَّة المحرَّمة بلا مقابل أو رادع أخروي، فالوثنية هي التَفَلُّتُ المستمر من تكاليف شرائع الأنبياء، ولذا كانت الوثنية عبر الزمان مرتع الشيطان في إغواء ابن آدم، كما في الحديث القُدسي: "إني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" (13).

فالملحدون أكثر الناس اعتناقا للوثنيات "لأن الوثنية بكافة طقوسها، وعبادة الشيطان، وتعدد الآلهة بكافة شريكاته، مسوّغ رائع للانغماس في الشهوات والفجور والجرائم... تصور شخصًا حاقدًا على الأديان، وهاربًا من تكاليف الشريعة، وباحثًا عن الشهوة بأي ثمن، إن هذا الشخص من البديهي أن ينضوي تحت أي لواء يُحقق رغباته فيصير وثنيًا، أو ينضم لجماعة منُظمة ويصير من عبدة الشيطان، فعبادة الشيطان هي مذهب إلحادي مائة بالمائة" (14).

ولذلك تجد من "أهل الإلحاد مَنْ انحلت منهم الأخلاق انحلالا ذائبًا، حتى صاروا كالبهائم بل أضل منها وأخس، مرجت أخلاقهم، وذهبت عهودهم، واستباحت كل محرم وانطلقوا في شهوات الغي لا يثنيهم عنها دين ولا خلق ولا حياء من الله ولا من خلقه كما هو معروف من أحوالهم"(15). وهذه نماذج من أقوال اساطين الإلحاد المعاصر تبين مكانة الأخلاق لديهم: .

يقول (إليستر كرولي) :- Aleister Crowley وهو المؤسس للعديد من المحافل الماسونية عبر العالم، وهو فيلسوف شهير_ " افعل ما تُحب هذا هو أصل القوانين" وهذه المقولة تحليل إلحادي مادي لحياة الإنسان وغائيته في غياب المرجعية الدينية وفي غياب التعويل على أية قيمةٍ أو مبدأ.

و إليستر كرولى هو جد (جورج بوش) George W. Bush من أُمه وهو ملحد شاذ جنسيًّا وقد وَجد في الجمعيات الوثنية ضالته في الدعوة للإباحية الجنسية إلى أقصى درجة، والنقمة على الأديان "(16).

يقول هاريس (أحد دعاة الإلحاد) " لا يوجد شيء طبيعي أكثر من الاغتصاب. البشر تغتصب، الشمبانزي تغتصب. الأورانجتون تغتصب، الاغتصاب من الواضح هو جزء من الاستراتيجية التطورية لتمرير جيناتك إلى الجيل اللاحق.

ويقول ديفيد أتنبره " أوقفوا إطعام أمم العالم الثالث لتقليل عدد سكان العالم"

ويقول ستيفين هوكينج "أشهر علماء الفيزياء الملحدين" "الجنس البشري ليس إلا حثالة كيميائية على سطح كوكب متوسط الحجم"(17).

ويؤكد رتشارد دوكينز (من أساطين الإلحاد)" إن الخيانة الزوجية ليس فيها شيء ألبتَّة من منظور الطبيعة الحيوانية، بل ويتساءل: لماذا كل هذه الهواجس حول الإخلاص لزوجة واحدة؟ لماذا نعتبر كلمة الغش هي الوصف لذلك؟! ولماذا يشعر الإنسان بأن له ملكية خاصة في جسد إنسان آخر"(18).

يقول آرثر ألين ليف: لا توجد طريقة إثبات أن حرق الأطفال بقنابل النابالم هو شيء سيئ"(19).

ويقول بيتر سينغر" (برفسور جامعة بريستون التطويري) في فيديو علني " بما أننا – أي الملحدين المعترفين بالتطور- حيوانات أو قردة؛ فلا يجب أن يكون هناك عقاب للبهيمية!" وتسمى Bestiality أي ممارسة الجنس مع الحيوانات"(20).

كما أن السفاح القاتل جيفري دامر الذي قتل 15 من الشباب تقريبًا وقطَّع أجسادهم، وكان أحيانًا يسلخ ويأكل أجزاء منهم أو يحتفظ بهياكلهم العظمية يقول في لقاء مع NBC والمذيع ستون

فيليبس 1994م بعد القبض عليه " إذا الشخص لا يؤمن بوجود إله ليحاسبه، إذن ما هي الفائدة من محاولة تعديل تصرفاتك لتبقى في الحدود المقبولة؟! هذا ما أعتقده على أي حال، كنت أعتقد أن نظرية التطور حقيقية بأننا أتينا من الوحل عندما نموت لا يوجد شيء"(21).

هذه هي نظرة رواد الإلحاد عن الأخلاق وعن السلوكيات الشائنة التي ترفضها كل الشرائع السماوية والفطر السليمة، وهذا يوضح خطر هذا الفكر على الأديان والمجتمعات.

"إن الملحد يمكن أن يتبنى نموذجًا أخلاقيًّا يحيا به؛ لأنه بداهةً لن يستطيع أن يكون حيوانًا كاملًا حتى لو أراد ذلك من كل قلبه، وحين يتبنَّى هذا النموذج فإنه سيتبنَّى نموذجًا أخلاقيًّا خاليًا من الأعباء الأخلاقية – بإطلاقها – أي سيكون على خلقٍ ما لم يصبح هذا الخلق حجرَ عثرةٍ في وجه شهواته أو نزواته أو طموحاته، ولذا في النموذج الغربي – الإلحادي جزئيًّا – تتم باستمرار عمليات الإزاحة للقيم الأخلاقية باضطراد متواصل ودون عودة عن المكتسبات، ولذا تظهر جماعة النامبلا NAMBLA وتطالب بالسماح بممارسة الشذوذ الجنسي بين الرجال والأطفال؛ لأنه علميًّا لا مانع علمي، وهكذا يومًا ما سيكسب هؤلاء قضيتهم؛ لأنها قضية محايدة تمامًا بمنظور إلحادي يقبع بين المالا نهايتين "(22).

إن "الإلحاد يمثل رؤية فلسفية متكاملة المعاني، ترفض الارتكان إلى أية قوة غيبية، لكنها تُسَلِّم بمعطيات العالم المادي! وفي هذا الإطار تختفي القيمة والمعنى والمعيارية لكل شيء في الوجود وتسود الحتمية المادية الصارمة. وهنا لن يستوعب العقل المعنى ولا القيمة. لأن العقل هو الآخر يتكون من نفس الذرات التي يتكون منها العالم المادي وتحكمه نفس الحتميات المادية التي تحكم كل ذرة في هذا الوجود المادي الخالي من المعنى والهدف والقيمة"(23). إن القول بالإلحاد تسبب في عم إمكانية تأسيس الأخلاق إلا بشكل عملي على النحو الذي يجعلها نفعية ونسبية تمامًا. ومن هنا تهاوت منزلة الاخلاق في هذه الفلسفة الإلحادية.

وأخلص من خلال ما سبق أن من سمات النظام الأخلاقي في الفكر الإلحادي

1- الأخلاق معزولة عن الدين وخالية من الدوافع الغيبية.
2- أخلاق دنيوية ومن وضع المجتمع.
3- عدم وجود قيم أخلاقية مطلقة.
4- استباحة المحرمات.
5- الاستهانة بالأعراف والتقاليد.
6- معاداة الفطر السليمة..

المبحث الأول: مصدر الأخلاق

تُعَدُّ مشكلة مصدر الأخلاق من المشكلات الشائكة في المجال الأخلاقي بين الفكرين الإسلامي والإلحادي باعتبارها أساسًا لما بعدها من المعاني والأفكار من حيث الصواب والخطأ وبيان ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: مصدر الأخلاق في الفكر الإسلامي

تتسم الأخلاق في الفكر الإسلامي بفوقية المصدر وهذه سمةٌ رفيعةٌ للأخلاق في الفكر الإسلامي. فلم يكن تقنين الأخلاق ولا تفسيرها واعتمادها متروكًا لفكر بشري تطور على مرِّ العصور. وإنما لجهة عليا لها السيادة والتدبير كما لها الخلق والإنشاء قال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف/ 54] والأخلاق في الإسلام "هي روح الرسالة الإسلامية، والنظام الإسلامي التشريعي يعد صورة مجسمة لهذه الروح"(24).

"فالمصدر الوحيد للقيم وللتقييم هو الله. فهو الذي يقرر ما هو حلال وما هو حرام، ما هو خير وما هو شر، وليس في الأفعال ولا في الأشياء في ذاتها صفة تقويمية، وإنما الذي يعطيها هذه الصفة هو الشرع الإلهي"(25). ويؤكد هذا "كيركيجور" حيث يقرر "أن اختراع القيم لا يمكن أن يدرك إلا إذا كان استجابة ل" نداء من أعلى" أي على أنه نابع من علاقتنا الروحية مع الله، وعن الدور الذي منحنا ويسرنا للقيام به" (26).

وهذا الجانب من جوانب عظمة الإسلام حيث جعل " من أهم ميزات الأخلاق الإسلامية بل أهمها على الإطلاق، هي ارتباطها المباشر بالله وبالتعاليم التي حملها الوحي عن الله سبحانه (بالولاء الخفي والخضوع العلني لإله واحد). فهي – إذن- على خلاف الأخلاق الوضعية ذات الطابع النسبي، تستمد إلزامها من أعماق الإنسان المؤمن بها"(27).

وتبدو أهمية الوحي كمصدر للأخلاق في تحديد مقاييس الخير والشر " فالوحي هو الوسيلة الوحيدة التي عرفت المقاييس لأن الله وحده يعرف ما هو خير مطلق وما هو شر مطلق، وأنهما كذلك بفضل تقريره" (28). وهذه الفوقية القدسية للأخلاق تنتج آثارًا حميدة عند مَنْ يؤمن بها، فالاستجابة للملك الخالق لا للبشر المخلوق تولد فوائد شعورية وأحاسيس راقية للمؤمن. حيث تغمر المؤمن سعادة عند الامتثال لهذه القيم الخُلقيَّة، وتنأى بالمؤمن عن الشعور بالدونية لأنه خضع لبشر مثله شرَّع له من القوانين الملزمة ما هو حق وما هو باطل. "لقد حمى الإيمان صاحبه

من اعتزاز بالنفس يمنعه من الامتثال لهذه المنظومة الأخلاقية، وارتقى به من ذاتية تصده عن الخضوع لقيمها"(29).

يعلل مسيو كروازي أهمية هذا الارتباط بين الأخلاق والدين وضرورة أن يكون مصدر الأخلاق ديني ويسأل متعجبًا عن كيفية تعليم الأخلاق بلا سند من دين يوجبها ويحفز عليها، فيقول: "ترى علم الأخلاق في جميع البرامج يدرس كشيء منفصل عن الدين... فباسم أي مبدأ غير ديني يعلم الواجب والغرض الخلقي؟! إنه يسأل الفلاسفة فيظفر بأجوبة متهاوية"(30).

إن مما لا شك فيه أن اعتماد الأخلاق في مصدريتها على مصدر علوي قدسي يفضي إلى توازن واستقرار في الحياة الفردية والجماعية على السواء؛ لذلك نجدها "مرتبطة بالسنة الدينية في الإسلام أكثر مما هي عليه في الحضارة الغربية. وهذه مسألة معروفة باعتبار أن مصادر الحضارة الغربية والمساحات الأوسع في نسيجها وضعية صرفة، وهذا يعني من جهة ثبات القيم وديمومتها في التجربة الإسلامية وقلقها ونسبيّتها وتقطعها في التجربة الغربية"(31).

وفضلاً عن مميزات الاعتماد على نظام أخلاقي يتسم بفوقية المصدر متمثلا في الوحي المعصوم للفرد وللمجتمع، فقد نتج عن اعتماد الوحي مصدرًا للأخلاق في الفلسفة الفكرية الإسلامية ميزات عدة لنظام الأخلاق الإسلامية منها: التوافق مع الفطرة، والعموم والشمول، والإطلاق، والبقاء والاستمرار، والتنوع. وهذه السمات لا توجد في فلسفة الأخلاق في الفكر الإلحادي. .

المطلب الثاني: مصدر الأخلاق في الفكر الإلحادي

تعددت الأقوال حول مصدر الأخلاق في الفكر الإلحادي تعددًا يَنمُّ عن الاضطراب الفكري الذي أصاب أصحاب هذا الفكر نتيجة انحرافهم عن الجادة والصواب، وفيما يلي بيان بهذه الأقوال والرد عليها

أولا: الضمير

الضميرهو: " مجموعة الأحكام التقويمية والوجدانات الروحية التي تستند في جوهرها، وفي ما تذهب إليه إلى شرعة من القيم ترتبط بالوضع الإنساني ذاته وبأحواله"(32). كم يعرف بأنه: "ملكة عقلية مستقلة عن غيرها من ملكات الإنسان"(33).

وقد اعتمد بعض الملحدين الضمير كمصدر للأخلاق وأن وخز الضمير البشري لصاحبه كفيل بمنعه عن ارتكاب الشر. ويوضح ريتشارد دوكنز إلى الاكتفاء بالضمير وعدم الحاجة للإله فيقول: "

لسنا محتاجين للإله لنكون جيدين، فأنت لا ترى اختلافا كبيرًا بين أفعال المتدينين والملاحدة، بل وبين البشر جميعًا، تجاه مواقف أخلاقية معقّدة"(34).

يقول روسو، -والذي اعتمد الشيوعيون الملحدون على فلسفته-: "إن المرء لن يجد حلاً لكل المسائل الأخلاقية الصعبة سوى بالعمل المستوحى من الضمير، ذلك لأن تلك الغريزة الأخلاقية تظل محتفظة بطهارتها ونقاوتها في القلب كي يتسنى لها أن تحكم، ولكي يتسنى للفرد أن يثق بها"(35). ويقول: لا أستخلص هذه القواعد (القواعد الأخلاقية) من مبادئ فلسفية عالية، وإنما أجدها في أعماق قلبي، وقد نقشتها الطبيعة بأحرف لا تمحى فما عليَّ إلا أن أستشير نفسي فيما أريد لأن أفعل..إن أفضل مفتٍ هو الضمير"(36).

لقد سعى روسو الى التأكيد بأن مصدر الأخلاق ومصدر الإلزام فيها يكمن في تلك المشاعر المنبثقة من الضمير، "من تلك الغريزة الملازمة للإنسان منذ ولادته التي تملك – حسب رؤيته- القادرة على إدراك الخير والشر حدسيًا من غير ما حاجة لأي خبرة سابقة ومن غير حاجة لمعطيات الخبرة الحسية أو لأي شكل من أشكال التأمل المنطقي"(37).

تعقيب:

الضمير لا يصلح مصدرًا وحيدًا للأخلاق لأن:

1- الواقع البشري بتاريخه الطويل خير شاهد على أن ضمائر البشر لا تصلح أن تكون مصدرًا للأخلاق لا في تشريعها ولا في الإلزام بها دون دين؛ لأن الضمائر تضللها الأوهام والعادات. يقول دراز: "أليس واضحًا ما يحدث لنا غالبًا من أن تُعْمِي العادات ضميرنا، أو تضلله الأوهام، أو تتسلط عليه المنفعة، وأن تتحدث إلينا العاطفة أحيانًا متخفية في ثوب العقل ومتقلدة بلغته؟!" (38).

2- الضمير البشري قاصر عن وضع ضوابط وقواعد علمية حاكمة لأعمال تبين منزلتها وأهميتها للفرد وللمجتمع بين الوجوب والندب، أو درجة ضررها بين التحريم أو الكراهة، وهذا يجعل الاعتماد على الضمير هدرًا للأخلاق وضياعًا لها.

ثانيا: الفطرة

اعتمد بعض الملحدين الفطرة مصدًا للأخلاق وقالوا بأن البشر قادرون على التمييز بين الخير والشر بفطرتهم دون الاحتياج لوحي ولا لمصدر ملزم خارج عن الإطار الإنساني يقول الكواكبي "أما المتأخرون الغربيون، فمنهم فئة سلكوا طريق الخروج بأممهم من حظيرة الدين وآدابه النفسية إلى فضاء الإطلاق وتربية الطبيعة، زاعمين أن الفطرة في الإنسان كافية لضبط النظام"(39).

تعقيب:

الرد على هذا القول بما يلي:

1- مثل الرد على سابقه تمامًا حيث تدل الأحداث على مدار التاريخ البشري أن سطوة الأهواء والشهوات وغلبتها على النفس البشرية تجعل من الاعتماد على الفطرة بعيدًا عن الدين أمرًا خاطئًا تمامًا.

2- أن الاعتماد على الفطرة فقط معناه الحصول على الأخلاق دون عناء وجهد وهذا مما يكذبه الواقع لأن الأخلاق تحتاج إلى عناء ومجاهدة.

3- القول بالفطرة والتلقائية فقط يمحو أي فضل للإنسان في عمل الخير لأنه يتأتّى منه بلا مجاهدة ولا تعب، وهذا مناف للواقع كما أنه يلغي المسؤولية والجزاء على السلوك طالما أن الفعل الأخلاقي يأتي بلا مجاهدة للنفس دائمًا. وهذا خلاف الواقع المشاهد بما يثبت خطأ هذا الادعاء.

ثالثا: المجتمع

يسود في الفكر الإلحادي اعتماد فكرة المجتمع كمصدر للأخلاق، " يقول دوكنز" العلم الطبيعي ليس لدية طرق للحكم على ما هو أخلاقي. إن هذه مسألة متروكة للأفراد والمجتمع"(40). فالملاحدة يقولون: "إن الانسان قد ابتكر المنظومة الأخلاقية عندما وجد أن الالتزام الأخلاقي يحقق له حسن السيرة وخلود الذكر في الحياة، ويشعر بالرضا عند مقاومته للشر"(41).

ومن هذا ما طرحه دارون في كتابه أصل الأنواع من أن تفسير نشأة الأخلاق من خلال مبدأين أرساهما وهما: (البقاء للأصلح) و(الصراع من أجل البقاء) أي اعتبر أن الأخلاق الإنسانية قد تطورت ثم استقرت تبعًا لما يحقق للإنسان المصلحة والتفوق"(42) ويبرر دارون ذلك فيقول: " إن الحيوانات التي تتمتع "بحس اجتماعي"، " ومنها الإنسان"، ما إن تصل إلى درجة معقولة من الذكاء حتى تكتسب " دوافع أخلاقية" تعينها على الحياة في ظروف اجتماعية السائدة أي أن الظروف الاجتماعية هي التي تشكل الأخلاق"(43).

تعقيب:

يحتاج الرد على مصدرية المجتمع للأخلاق إلى مزيد من البيان وذلك فيما يلي:

1- إن القول بأن الأخلاق تنبع من المجتمع فحسب يجعلها قابلة للتطور، والاعتماد على هذا القول بأن الأخلاق تتطور يدل على عدم وجود قيم أخلاقية أصلًا عند الملحدين.

2- لاقت هذه النظرية نقدًا كثيرًا ومن هذه الانتقادات نقد (ألفريد والاس) حيث كتب يتساءل عام 1864" كيف أفرز الانتخاب الطبيعي المفاهيم الأخلاقية الجيدة كالتضحية والإيثار؟! ويرى دلاس أن مبدأي الصراع من أجل البقاء والبقاء للأصلح قد أدَّيا إلى تفوق الإنسان الحديث على الإنسان البدائي، الذي انقرض نتيجة لعدوانية أجدادنا، أي أن بقاء الأول كان على حساب فناء الثاني. ولما كانت هذه النتيجة لا تتمشى مع منظومتنا الأخلاقية، فذلك يعني أن لأخلاقنا مصدرًا آخر غير الصراع ويرى والاس أن هذا المصدر ليس إلا الإله الخالق للعقل البشري خلقًا مباشرًا"(44).

3- هذا الادعاء يثبت "أن المجتمع يعبد نفسه، وليست هذه النظرية إلا صورة مشوهة من ديانة الإنسانية التي نبتت في خيال مريض"(45).

4- هذا الادعاء ينكر شخصية الفرد وجعله دمية في يد المجتمع يخضع لقبول آرائه وأفكاره وعقائده، .

5- هذا القول ينزع عن الإنسان العاطفة الدينية، لأنها تنشأ طبقًا للآراء والعواطف الاجتماعية؛ بما يؤدي إلى أن تكون الأخلاق مفروضة عليه من خارجه مما لا حيلة له فيه.

6- هذه النظرية فيها عدوان على تاريخ البشرية الطويل وتزييف لحقائقه الثابتة، لأن في هذه النظرية العلمية المزعومة ما فيها من إنكار وجود للنبوات والرسالات السماوية كم أن فيها إنكارا لدورها في تهذيب البشرية وترشيد سلوكياتها وإلزامها بالأخلاق الحميدة.

رابعًا: العقل والسعي للمنفعة

يؤمن بعض الملاحدة بأن العقل مصدر الأخلاق للبشر ويضمن لهم الحياة الأخلاقية الآمنة، لقد كما آمن الفكر الإلحادي بفلسفة كانط في الأخلاق والتي قررها في كتابه: "الدين في حدود مجرد العقل" فقد عرض كانط في هذا الكتاب الصلة الوثيقة بين الأخلاق والدين، معتبرًا أنّ الأخلاق ليست بحاجة إلى الدين من أجل قيامها، بل هي مكتفية بذاتها بحكم طبيعة العقل نفسه"(46). واستهلّ كانط هذا الكتاب بعبارة مقتضبة تحمل دلالات عميقة، إذ يقول: "إذا كان ثمة شيء يحق للإنسان الحديث أن يفخر به على سائر البشر السابقين؛ فهو إيمانه العميق بالحرية، بأنه كائن حر، يدين بقدرته على التفكير بنفسه، ومن ثمة على إعطاء قيمة خلقية لأفعاله أو لمصيره الخاص"(47). ويقول " تبدو الأخلاق غير محتاجة إلى فكرة كائن مختلف وأعلى من الإنسان

لكي يعرف هذا الإنسان واجبه، ولا سبب غير القانون نفسه لكي يتبعه. فإذن بالنسبة للأخلاق فليست تحتاج مطلقا إلى الدين بل تكتفي بفضل العقل الخالص العلمي"(48).

ويردد دوكنز المعنى ذاته بقوله: " تطورت لنا عقول بالصدفة لديها القوة الكافية للنظر في المستقبل وتقييم العواقب البعيدة"(49).

كما أن هذا القول يتسق مع "قول الغالبية العظمى من الفلاسفة بأن واضع القيم هو الإنسان"(50). وقد تجذَّر هذا الفهم في البيئة الغربية، ولذلك عمل كانط على إحلال العقل محل الدين واستبدل المفاهيم ذات الصلة بالإيمان بمفاهيم عقلية ليس لها بُعْد غيبي " فقد أخذ كانط مفهوم "العقل" بدل مفهوم "الإيمان" ومفهوم "الإرادة الإنسانية" بدل مفهوم "الإرادة الإلهية" ومفهوم "الحسن المطلق للإرادة" بدل مفهوم "الإحسان المطلق للإله" ومفهوم "الأمر القطعي" بدل مفهوم "الأمر الإلهي" ومفهوم "التجريد" بدل مفهوم "التنزيه" ومفهوم "احترام القانون" بدل مفهوم "محبة الإله" ومفهوم "التشريع الإنساني" للذات بدل مفهوم "التشريع الإلهي للغير" ومفهوم "الخير الإسمي بدل مفهوم "النعيم: ومفهوم "مملكة الغايات" بدل مفهوم "الجنة""(51).

تعقيب:

إن دور العقل في السلوك لا يُنكر، والفكر الإسلامي لا يجحد دور العقل في سلوك الإنسان، فالعقل مناط التكليف، ولكن الاعتماد على العقل وحده مصدرًا للأخلاق بعيدًا عن الدين هذا مالا يتفق مع الفكر الإسلامي، ومن النقد الذي تم توجيهه لمن يدعي أن الأخلاق مصدرها والالزام عليها من وحي العقل والمصلحة ما يلي:

1- "الذي يخلق المبادئ بعقله قد يتشكك فيها، قد يقول لنفسه: ما الذي يلزمني بهذا؟ ولماذا أضحي بلذتي وسعادتي وجميع الفوائد الأخرى من أجل بضعة أفكار؟ لكن حين تكون المبادئ مستوحاة من الإله صاحب الكون وخالق الناس يكون لها معنى آخر...الله هو الذي يعطي للقيم معناها، الله هو الذي يعطي للوجود معناه. بدونه لا معنى للوجود لا معنى للقيم، وبديله هو العبث، اللا معنى"(52).

2- ظهور أخلاق المصلحة. التي تُعلي قيم النفعية والأنانية، فلا تُمارس الأخلاق في المجتمع لأنها صادرة من أوامر إلهية، ولكن لأنها في مصلحة الفرد، فالملحدون عندما يتعاملون بالصدق لا يتعاملون به لأنه من أوامر الدين، أو من الأخلاق الأصيلة التي دعا إليها الأنبياء والمصلحون. لا. وإنما لأن مصلحة الفرد أو المجتمع.

3- الاعتماد على العقل يؤدي إلى التضاد في السلوك حيث تُجيز الأخلاق النفعية ارتكاب الأضداد في الوقت ذاته، طالما أن ذلك فيه مصلحة، فاليوم يقر العقل العفاف إذا أراده، ورأى فيه مصلحة، وغدًا يُقر الزنا والفواحش إذا ظهرت له مصلحة جديدة. اليوم يقضي بالعدل؛ لأن المصلحة تقتضي ذلك. وغدًا يكيل بمكيال آخر، لأن المصلحة تستوجب ذلك، وهذا لا يدع مجالاً لاستقرار الأخلاق ولا لثباتها، ويظل المجتمع تتحكم فيه المصلحة، وتتأرجح به الأهواء، وسيعمل الإنسان جاهدًا أن ينال المنفعة حتي ولو كان ذلك على حساب الأخلاق، "يقول المفكر الإنجليزي الشهير جون لوك معبرًا عن هذه الأخلاق النفعية: "إذا كان كُل أمل الإنسان قاصرًا على هذا العالم، وإذا كنا نستمتع بالحياة هنا في هذه الدنيا فحسب، فليس غريبًا ولا مجافيًا للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبناء"(53). إنه تعبير حي على ما يؤمن به العقل الملحد من منظومة أخلاقية مبنيّة على النفعية حتى ولو كان ذلك على حساب أجلِّ القيم وأرفعها قدرًا متخذة من التبرير العقلي سندًا ومرجعًا.

"ويوجد مثال صارخ – في العصر الحديث-على أخلاقيات المنفعة، إنه "بيل جيتس"، الذي يتحدث الملاحدة كثيرًا عن أعماله الخيرية. هو نفسه يعترف أن الأعمال الخيرية التي يقوم بها هي في سبيل بحثه عن السعادة، لأنه يفتقد السعادة في حياته، إذن تصب أعماله الخيرية في سبيل مصلحته الشخصية أيضًا، بل المفاجأة أن بيل جيتس هذا المحب للخير وللفقراء يدعم مشروع إبادة الفقراء عن طريق التعقيم اليوجيني Eugenics – وهو: تمرير الفقراء على أشعة إكس عالية التردد مما يؤدي إلى تدمير خلايا الإخصاب في الخصية؛ وبالتالي عدم القدرة على الإنجاب نهائيًّا– حيث يرى أنه على البشرية أن تتقلص إلى مليار نسمة فقط لا غير، وبما أن الإعقام اليوجيني عملية مرهقة وذات سمعة سيئة. فهو يرى أن الحل الأمثل في التعقيم عن طريق تطعيمات الرضع.. وهكذا، فالملحد يبحث عن مصلحته الشخصية حتى وهو في أقصى درجات السمو الخلقي.. وفي أقصى درجات السمو الخلقي هذه يتصرف أيضا كحيوان لا كإنسان.

إذن بيل جيتس أو الملحد عمومًا لو وجد مصلحته الشخصية في تعذيب الفقراء فلن يتوانى عن فعل ذلك!!"(54).

4- الاعتماد على العقل كمصدر للأخلاق يؤدي إلى الازدواجية في المعايير، فهذا فولتير الملحد أنشأ كنيسة لخُدَّامِه على نفقته الخاصة خوفًا على أخلاقهم. فلوتير أشهر ملحد عبر العصور كان يشرح فلسفته الإلحاديَّة لزملائه وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدامه، ويخشي على خدامه من الإلحاد، وكان يدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول

كلمته الشهيرة: " لو لم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي."، بل وقام فولتير الملحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها " يا رب اذكر عبدك فولتير" وادعي أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين، وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة"(55).

5- الاعتماد على العقل بدون دين فيه مهلكة للإنسان وأدل الأمثلة على ذلك ما يمارسه الغرب في العصر الحديث، فقد استحسن سلوكيات انحدر بها الإنسان، وهوى من مصاف الإنسانية إلى دركة الحيوانية. فاستحسن العقل الفاحشة وزيَّنها، وجعلها بدلاً من أن تكون مُسْتَقْبَحَةً مُسْتهْجَنةً عدَّها دلالةً على قيم عليا مثل الحرية، ومظهرًا من مظاهر تَقَدُّم المجتمعات وتطورها، وما ذلك كله إلا ليبيح لنفسه، وليشرع لهواه ما منعته الأديان السماوية كافة في أصلها السماوي مما لم تطله يد التحريف والتغيير. كما أن هذا دلالة على "أن التغيُّر العقائدي الذي سيطر على أوروبا باسم العلمانية أو الفاشية أو النازية أو الشيوعية هو في الحقيقة خراب أخلاقي ابتليت به الإنسانية" (56).

إن "العقل والمصلحة- بعيدا عن المبادئ قد ينشأ عنهما الكثير من الكوارث مثل الحربين العظيمتين مثلا اللتين كان وراءهما هو المصلحة. إن ما نراه حولنا الآن من جرائم وأحداث اغتصاب وأعمال عنف إنما هو نتاج لانفصال العقل والمصلحة عن المبادئ. أما حين تخضع قوة الإنسان للمبادئ الدينية فإنها تصبح لخير الإنسان.

6- لا يصلح العقل أن يكون مصدرًا للأخلاق وحده دون دين؛ لأن "أصحاب الإيمان وحدهم هم الذين يموتون في سبيل المثل والقيم والمبادئ النبيلة، فوراء التضحية دائما إيمان وليس مجرد اقتناع عقلي. وهو ما جعل الفلاسفة أنفسهم يطالبون بالدين من الفرنسي فيكتور لوزان الذي قال في القرن الماضي إننا في احتياج إلى الدين من أجل الدين" (57).

إن الأحاد تسبب في تدمير الأخلاق إذ لو ثبت عدم وجود الله (كما يدعي أصحاب الفكر الإلحادي) لصار اعتبار الفضيلة- في اقتضائها للحرية والحقيقة كلتيهما– تابعة لأغراض النفس ومستجيبة حصرًا للمصالح العاجلة. فما الذي يوجب، إذاً، التزام الفضيلة بما هي فقط " فضيلة" مقتضاها امتثال الخير الأسمى (فضيلة بلا قيد ولا شرط)؟! إذ لا الطبيعة ولا المجتمع ولا التاريخ تصلح مفردة أو مجتمعة لتأسيس الأخلاق بما هي كذلك لأن هذه المحددات لا تكفي، حتى في تعاليها على الأفراد، لمحو صبغة العدمية الملازمة حينئذ للوجود والفعل البشريين من حيث افتقادهما الجوهري لكل مقصد أو غاية

فيما هو أبعد من هذا العالم الدنيوي! بإيجاز ما الذي سيلزم الملحد أخلاقيا إذا أمكنه أن يأتي أفعاله بشكل يتفادى أن يسأل أو يحاسب (هنا والآن)؟!.(58)

المبحث الثاني: معيار الأخلاق

يُعتبر علم الأخلاق- أو الفلسفة الأخلاقية - من العلوم المعيارية. أي لا تقتصر على دراسة ما هو كائن، أو الأوضاع الراهنة ولكن بما ينبغي أن تكون عليه، ولذا فإن مهمة علم الأخلاق هي: "وضع الشروط التي يجب توافرها في الإرادة الإنسانية وفي الأفعال الإنسانية لكي تصبح موضوعًا لأحكامنا الأخلاقية عليها"(59). ولذلك نجد أن "علم الأخلاق يتناول دراسة أفعال الناس بالقياس إلى مثل أعلى"(60). وقد "اعتبر المؤرخون سقراط هو الواضع الحقيقي لعلم الأخلاق لأنه أول من توخى وضع معيار موضوعي لها"(61). كما يُعَدُّ المعيار الخلقي إفرازًا لنظرة الإنسان للوجود والمعرفة، ومن أجل ذلك اختلفت المعايير عند أصحاب النظريات المعرفية تبعًا لنظرة أصحابها للوجود.

ورغم أهمية المعايير للسلوك الأخلاقي فقد وُجِدَ اختلاف في النظر لعلم الأخلاق من حيث اعتباره علمًا معياريًّا أو وصفيًّا، باختلاف النظر نحو تعديل السلوك. "فمن يرى أن الأخلاق فطرية لا يمكن تغييرها، يرى أن الأخلاق علم وصفي، ومن يرى العكس، من أن الأخلاق مكتسبة يمكن تعديلها وتحويلها، يذهب إلى أن الأخلاق علم معياري. ولكن القول بأن الأخلاق علم وصفي، باعتبار أن الإرادة الإنسانية سجينة في نطاق فولاذي من الغرائز والطبائع، وأن البشرية كتلة ميتة عاجزة عن التحول والتطور. يهدّد كل قيمة للكتب السماوية ويلغي دور الرسل والأنبياء وكل المصلحين في إصلاح الإنسان والجماعة البشرية، ويجعل من تاريخ الإنسان وحضارته وقيمه ومثله ملهاة تثير السخرية.

ليس هناك عاقل ينكر وجود الخير والشر والفضيلة والرذلة والحق والباطل، وعلم الأخلاق حين يهتم بتقويم السلوك الإنساني، أو الحكم على إنسان بأنه خيّر أو شرّير، لابد له من معيار يقيس به ذلك السلوك، حتى يكون لحكمه مضمونًا معقولاً يُعْتَدُّ به. وهو بهذا يخرج من مجال الواقع إلى مجال المُثل، لا يهتم كثيرًا بوصف ما هو كائن، وإنما يتصور ما يجب أن يكون، والتعلُّق بالأمثل بصرف النظر عن الواقع.

كل هذا يدعونا إلى القول في اطمئنان: إن علم الأخلاق علم معياري، مهمته استنباط القواعد المثلى لما يجب أن يكون عليه السلوك الإنساني، وما يجب أن ينشده الإنسان من غايات نبيلة، يتحقق له فيها الفضيلة والسعادة في آن واحد"(62).

المطلب الأول: معايير الأخلاق في الفكر الإسلامي

يُعَدُّ الأمر بالقيمة الأخلاقية في القرآن الكريم والسنة الصحيحة معيارًا للأخلاق في الفكر الإسلامي، فوجود الخُلق في القرآن أو السنة والأمر به فيهما أو الحث عليه بأي شكل من الأشكل يَعَدُّ معيارًا يُقاس عليه العمل أو القول من حيث القبول أو الرفض أو كونه أخلاقيًا أو غير أخلاقي.

"فالمقياس هو ما جاء به الدين من تقاليد نبيلة وسنة نبوية محكمة، وقد يضيفون على ذلك (المسلمون) ما يرونه متفقًا مع روح الإسلام ومثله العليا في الأخلاق، من التقاليد الطيبة التي توارثها الأجيال، وحكمة الفرس والهند وبني إسرائيل، وغيرها مما يكون حريًّا بالتأثير واتخاذه مقياسًا للخير والشر من الأفعال. ومن ثم كان الشذوذ عن هذا بدعة وكان مذمومًا، وكل ما نعرف من مجهود كثير من المؤلفين في جمع هدي القرآن والرسول وآداب كثير من الأمم التي لها في الحضارة عرق وأصل ممدود"(63).

فالوحي والإذعان لكل ما جاء به من أمر أو نهي معيار للأخلاق الصحيحة" وكلمة الإسلام كانت ولا زالت التعبير الفني الدقيق عن هذا المعيار، كما أنها المعيار الذي تقوم به حركة التاريخ الإنساني وتقدمه منذ أن خُلق آدم وحتى تقوم الساعة. والإسلام كمعيار هو نظام كامل وشامل ويتضمن في داخله معايير أخلاقية متعددة منها ما يتعلق بقلب المسلم واعتقاده والأسس التي يقوم عليها بناؤه الأخلاقي ومنها ما يتعلق بالسلوك وصورته"(64).

وقد حوى الدين الإسلامي من خلال نصوصه المحكمة معايير للأمور الاعتقادية، وأخرى لكل ما هو سلوكي. "فالمعايير الاعتقادية هي: التوحيد، والتوكل، والمحبة، والنية. التوحيد معيار للعلاقة مع الله، والتوكل معيار للإيمان بالقضاء والقدر، والنية معيارٌ لتحديد قيمة العمل والحكم عليه بالخير أو الشر سواء في الطاعات أو المعاصي أو المباحات، والمحبة معيار للحق الذي يجب اتباعه والانصراف عمَّا سواه من الهوى أو الذات.

وأما معايير السلوك فهي: العموم، والشمول، والمرونة، والتوازن، والإمكان، واليسر في الأداء"(65).

وكل ذلك لابد وأن يكون متجهًا لغاية واحدة، وهي رضا الله سبحانه وتعالى. مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ () لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام/162، 163]، "فالهدف الذي ينبغي لنشاط المؤمن الطائع أن يتوخاه وهو يؤدي واجبه. لا يَكْمُنُ في طيبات هذه الدنيا، ولا في السرور والمجد في الأخرى، ولا في إشباع شعوره بالخير، ولا في إكمال وجوده الباطن. إنه الله، الله الذي يجب أن يكون نصب أعيننا"(66).

يقول الدكتور دراز موضحًا مكانة السنة والقياس والإجماع في الإلزام الخلقي وارتباطهما بالقرآن الكريم: "كل حديث صحيح لم يرد ما ينسخه وكان موضوعه جزءاً من رسالة النبي، بحيث أصبح في نهاية الأمر تعبيراً عن الإرادة الإلهية، هذا الحديث له في نظر المسلمين السلطة الأخلاقية التي للنص القرآني، ولو اشتمل علاوة على ذلك تفصيلات وتحديدات أكثر ممّا اشتمل عليه النص القرآني، فإنّ هذا الحديث هو الذي يفسر النص القرآني ويبين نماذج تطبيقه. أمّا عصمة الإجماع، فهي تكمن في الرجوع إلى الوثائق القرآنية والنبوية الصحيحة ودراستها دراسة ناضجة، ولا ترتد هذه العصمة إلى العلماء أنفسهم. أمّا القياس فإنّه يحاول الكشف عن الحكم في روح القرآن والسنة ومفهومها العميق، إذا لم يردا في القرآن والسنة. وفي التحليل الأخير، فإنّ الله هو المشرع وليس الآخرون سوى مقررين لأمره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة"[67].

وقد فصَّل د/ دراز في الفضيلة، وحدَّد لها معايير حاكمة تصلح لأن تكون معيارًا للأعمال السلوكية. فقد نظر الدكتور دراز للآيات القرآنية واستخلص منها تعريفًا منضبطًا للفضيلة بالنظر إلى المستويات الإنسانية منها. فقال: "طرق الناس في سلوكهم لا يتعدى صدورها عن إحدى النزعات الثلاث الآتية: إما نزعة الاستئثار، وإما نزعة الإيثار، وإما نزعة المبادلة والمعادلة.

إن البيان القرآني أفاض في ذم سجية الأثرة والبغي والعلو، بينما وزَّع القيم الأخلاقية قسمة ثلاثية، في طرفها الأعلى فضيلة الإيثار، والطرف الأدنى رذيلة الاستئثار، ولم يعتبر مبدأ المقاصة الدقيقة في الحقوق والواجبات فضيلة أو رذيلة.

لأنه بمثابة رخصة مباحة لا يستحق المدح أو الذم وآية ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ** (41) **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (42) **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [الشورى: 41 - 43]. ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ** ﴾ [النساء: 148]. ﴿**إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا**﴾ [النساء: 149]. فالنهي أولًا عن تعامل الناس بالفاحش من القول لأنه يستوجب غضب الله، مع استثناء من كانت إساءته ردًا لمظلمة، ثم وضع الخطة الحميدة والفضيلة المندوب إليها وهي خطة العفو حتى يستحق مغفرة الله ﴿**أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [النور: 22]

يقول دراز: " وهكذا تمضي إرشادات القرآن الحكيم ناهية عن التزيد في حق النفس، حاضَّةً على الزيادة في حق الغير، مخيرة المعاملة بالمثل دون نهي عنه أو تحريض عليه"(68). هذه سمة أولى

من سمات الفضيلة.

أما السمة الثانية فتتعلق بنفاذها إلى أعماق الضمير حتى يتشربها القلب فتصدر عنه بترحاب وطيب خاطر ومحبة، لا عن جهاد خلقي شاق، على عكس بيان الفلاسفة، فقد أشار مؤرخو الفلسفة إلى زعم سقراط أن الإنسان مجرد عقل فحسب، ثم أضاف أفلاطون إليه العاطفة، وجاء أرسطو فرأى أن الإنسان يشتمل أيضًا على إرادة فعَّالة، مبينًا أن الفضيلة ليست علمًا تنزع بصاحبه إلى العمل مع قصور الهمة، بل هي عمل يبرز إلى الوجود، ويحتاج إلى الرياضة والتدريب حتى يصبح عادة ثابتة وخلقًا راسخًا.

ولكنها في هذه الحالة، قد تصبح الفضيلة عملًا آليًا تسخيريًّا تمجّه النفس.

أما الفضيلة في القرآن الكريم، فهي ترتقي بالنفس الإنسانية لتصبح عملًا انبعاثيًّا محببًا إلى القلب. مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [الحجرات: 7، 8].

وعلى العكس من ذلك، فإن فاعل الخير المفتقد لأريحية النفس له ليس خليقًا بأن يسمى خيرًا ويسجل القرآن المجيد هذه النظرات: ﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا**﴾ [التوبة: 98] ﴿**وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة: 54] ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى**﴾ [النجم: 33، 34].

وقد رسم القرآن الحكيم الطريق العلمي لتربية الإنسان الفاضل مخاطبًا الفرد والمجتمع، فإذا كان المجتمع هو الأساس الأول الذي يقوم عليه بناء الدولة، فإن العناية بالفرد، وهو لبنة في بناء المجتمع يصبح ضروريًا وأساسيًا إذا أردنا لهذا البناء القوة والمنعة" (69). وهكذا نرى معيار الأخلاق موجودًا، في الأوامر الأخلاقية في نصوص الدين وتشريعاته، مما أكسبها ثباتًا وإطلاقًا وقدسية تفتقده الفلسفات الأرضية كافة عندما تحدثت عن الأخلاق.

المطلب الثاني: معيار الأخلاق في الفكر الإلحادي

إن مسألة المعايير الأخلاقية لم تلق اتفاقًا عند أصحاب الفكر الإلحادي حيث تباينوا فيها كما تباينوا في مصدر الأخلاق، حيث انقسموا إلى فريقين: فريق يقول بعدم وجود معايير والثاني: يقول بوجود معايير للأخلاق، ولكنه يختلف في تحديد هذه المعايير.

من الفريق الأول الذي يعتقد عدم وجود معيار للأخلاق أصلاً، كما لا يوجد خير ولا شر، ريتشارد دوكنز حيث يقول: " الكون في حقيقته بلا تصميم، بلا غاية، بلا خير ولا شر لا شيء سوى قسوة عمياء لا مبالية"(70).

تعقيب:

1- كيف عرف الملحد الخير والشر؟ إن حديثه عن وجود الشر والخير كقيم دليل على عدم وجود الإلحاد أصلا. لأنه عالم مادي صارم لا يؤمن بغير المادة، وهذا أيضا يوضح ضرورة وجود الدين، لكي نجد للأخلاق معنىً نركن إليه، ونتعامل من خلاله كمعيار لسلوكياتنا.

2- إننا لا نستطيع أن نحكم على فعل بالخير أو الشر إلا من خلال معيار للأخلاق، وليس من خلال الواقع المادي الصرف، فالخير والشر قيم لا تدرك من خلال الماديات، وإنما لا بد لها من وجود معايير غير مادية نتحاكم إليها. والإلحاد في هذا يخالف أوليات المنطق، ومن هذا الكلام ندرك غياب المعنى والقيمة والمعيارية في الفكر الإلحادي لعدم وجودها أصلا. وأن كل حديث عن الخطأ أو الخير والشر من الملحد إنما هو نقض للإلحاد الذي يتبناه لأنه لن يستطيع أن يوجد تفسيرًا للمعيار الذي على أساسه حكم في أمر من الأمور بالخير أو الشر. فعندما يقول ريتشارد دوكنز" اعتقادك أن الاغتصاب خطأ أمر اعتباطي تمامًا"(71). فهذا هو قمة الاعتباط منه، لأنه من خلال مذهبه المادي مَنْ الذي أدراه أن هذا خطأ؟!!

فهذه قول طائفة من مفكري الملحدين تثبت عدم وجود معايير للفعل الأخلاقي لديهم، كما يوجد فريق آخر اعتمد بعض المعايير وبيانها كالتالي: .

أولاً: المنفعة

اعتمد بعض فلاسفة الفكر الإلحادي على المنفعة كمعيار للأخلاق بمعنى أن وجود المنفعة في السلوك يجعله أخلاقيًّا بغض النظر عن طبيعته وآثاره ومصدره. "ففي مناظرة "لورنس كراوس" مع "حمزة تزورتزس" والتي عقدت في بريطانيا تحت عنوان: " الإسلام أو الإلحاد، أيهما أكثر منطقية؟" سُئل لورنس عن سبب كون زنا المحارم خطأ، وضجت القاعة حين سمعت جواب "كراوس" قائلاً: " لا يظهر لي أنه خطأ" موضحًا بعد ذلك بأن كون هذا الفعل من "التابوهات" مبررٌ في مسيرة التطور البشري لما يولده التزاوج بين الأقارب من أمراض وراثية على الأولاد، فتَطَوَّرْنَا مُسْتَهْجِنِين لهذه الممارسة، أما الفعل في حدِّ ذاته، فيصعب أن يجد له مبرِّرا أخلاقيًّا يمنعه، مؤكدا أنه لا يرى

مشكلةً في ممارسة الجنس بين الأخ وأخته إذا كان كل واحدٍ منهما يحب الآخر، وكان ذلك لمرة واحدة مثلاً، ومع ضمانات ألا يحدث حمل"(72).

تعقيب: هذا الكلام مردود عليه بما يلي:

1- أن المنفعة والضرر لا يمكن أن يكونا معيارًا للأخلاق كما يزعم أصحاب الفكر الإلحادي؛ لأنه من الممكن تحقيق منفعة في أمرٍ غير أخلاقي، كما أنه من الممكن إلحاق الأذى في فعل أخلاقي، فالأول مثل: الكذب. والثاني مثل: التضحية من أجل الآخرين. ووفق مفهوم المنفعة والرفاه والألم والضرر تكون ممارسة العلاقات الشاذة برضا الطرفين مقبولةً عند أهل الإلحاد بينما هي مرفوضةٌ عند أهل الإسلام.

2- التبرير النفعي البراغماتي للأخلاق عند الملحدين "يفقد القيم الأخلاقية قيمتها، ويقعوا في تقرير نسبيَّتها بما يفقدها قيمتها المطلقة، ويفقدهم مبرر هذه الصلابة الأخلاقية التي يظهرونها والحماسة الكبيرة في دعوتهم لقيمهم الأخلاقية بما يشعر المتلقي أنهم يدافعون عن رؤى كونيةٍ مطلقةٍ، واستقراء طريقتهم في نقد الممارسات الأخلاقية التي لا يميلون إليها تكشف عن هذه القضية بوضوح شديد"(73).

3- القول بالمنفعة كمعيار للأخلاق يدحض حتمية التطور التي تقوم عليها الفلسفة الإلحادية، وهذا لا يعطي ثباتًا للأخلاق، فكيف تتم معرفة الخير من الشر؟!

4- المنفعة لا تميز بين الإنسان والحيوان. والإنسان أرقى وأسمى من الحيوان، فلا يصح أن يكون المعيار مشتركًا بينه وبين الحيوان.

5- القول بالمنفعة فقط كمعيار يُغْفِل عن عمد الجوانب الأخرى التي تتكون منها الشخصية الإنسانية كالجوانب الروحية وهذا خلل واضح يجعل الاعتماد على المنفعة كمعيار يشوبه نقص وخلل واضح.

6- المنفعة لا علاقة لها بالقيم إذ من الممكن تحقيق المنفعة في أمور غير أخلاقية.

7- يعجز أصحاب الفكر الإلحادي عن إيجاد تفسير واضح للأخلاق غير النفعية والتي تتنافي مع القول بالمنفعة ومع حتمية التطور. فلماذا يشعر الإنسان بالضيق والألم مثلا تجاه معاناة الآخرين؟ وما هو الدافع التطوري لأن يمد الإنسان تعاطفه إلى مَنْ لا يعرفهم من الحيوانات؟ ألا يتعارض ذلك مع الانتخاب الطبيعي؟! يقول دارون " ومع تقدم الحضارة، أصبح التعاطف أنبل ما في طبيعتنا البشرية فصارت الأغلبية العظمى من البشر يبذلون أقصى الجهد في رعاية

والديهم والمسنين ومرضاهم وضعفائهم، وإن كلفهم ذلك ثرواتهم المتواضعة بل وحياتهم. ويجتهد داروين في تفسير ذلك الخلق، فيفترض أن ذلك كان من أجل التخفيف من شعورنا بالضيق والألم عندما نرى معاناة الآخرين، وكلما تقدم الإنسان حضاريًّا مدَّ حسه التعاطفي إلى مَنْ لا يعرفهم مِنْ أفراد مجتمعه"(74).

8- العجز الواضع عن" تفسير نشأة خُلُق "الإيثار، فهو يعمل ضد هدف التطور الرئيسي، وهو المحافظة على النوع. فعلى المستوى الفردي، ما الذي يدفعني للتضحية بذاتي من أجل المجتمع والجنس البشري؟ ما الذي يدفع جيناتي الأنانية للتضحية بذاتها؟ وما الذي يدفع جينات كرات الدم البيضاء للتضحية بذاتها في صراعها ضد الميكروبات لدفع المرض عن الجسد؟!. وعلى المستوى الأكبر، ما الذي يدفع المجتمع للتضحية بموارده وجهد أفراده من أجل العناية بالضعفاء والمرضى والمعوقين والمسنين؟ أليس ذلك ضد البقاء للأصلح؟ ألا يزيد ذلك من فرص بقاء الأقل صلاحية؟ ويفترض الدراونة إننا نفعل ذلك من أجل أن يفعله معنا الآخرون عندما نمرض أو نهرم، بالرغم من أن هذا التفسير مرفوض داروينيًّا!! فالتطور ليس له بصيرة مستقبلية، ومن ثم لا يفرض علينا التزامًا أخلاقيًّا تجاه ضعفائنا حتى يساعدنا الآخرون فيما بعد. إن التطور لا يعرف مثلنا الشعبي "من قدم السبت يلقى الحد (يوم الأحد) قدامه"(75)

إن التفسير الوحيد لبعض الأخلاق غير النفعية هي أنهم أوهموا أنفسهم بأنهم عندما يفعلون الشيء نظير انتظار منفعة فإن هذا خُلُق يُحمدون عليه، والحقيقة "أن الأخلاق نوعان: أخلاق مصلحية منفعية أنانية مادية، وهي تسمي أخلاق المجتمع- أُعاملك بأدب كي تعاملني بأدب - وهذه تسمي أخلاق النفاق، وهذه ليست الأخلاق الأصيلة التي يؤسس لها الأخلاقيون - أنبياء ومصلحون- عَبْرَ كل العصور والأزمان، وهناك النوع الثاني من الأخلاق، وهذه تسمي الأخلاق الأصيلة، وهي الأصل والأساس، وهي تأتي ضد المصلحة الشخصية، وهي أخلاق غير مربحة عمليًّا وضد الماديَّة وضد العقل، ولم يتم البرهان عليها عمليًّا أو عقليًّا إلى يومنا هذا، مثل أخلاق الزهد والتبتل والتضحية، فالعمل الأخلاقي غير مقترن بفائدة ماديَّة أو رياء أو منفعة شخصيَّة. وهذا النوع الثاني من الأخلاق لا وجود له في العالم الإلحادي، بل إن وجوده أو الاعتراف بوجوده هو أكثر ضربة يمكن توجيهها للفكر الإلحادي على الإطلاق"(76).

9- إن القول بالأخلاق النفعية جرَّ على القائلين بهذا المعيار صفات ذميمة وجعلهم في نظر الكثيرين كائنات غير مرغوب فيها لوضاعة نظرتهم للأخلاق. يقول مؤسس الدولة المدنية العلمانية (جون لوك) "إن الملحد خائن، ولا عهد له ولا مكان له في الدولة العلمانية " لا يكن التسامح على

الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله.... فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفِكر فقط يفكك جميع الأشياء"(77).

ولذلك "ما زال الملحد في أمريكا هو أكثر الفئات المجتمع تعرُّضًا للاضطهاد، ويفوق في ذلك المسلم المتطرف والشاذ جنسيًا؛ لأنه أكثر فئات المجتمع انعدامًا للأخلاق وإثارة للفتن وتفويضًا لأركان النظام! "(78).

ولكن هل معنى ذلك أن الملحد لا يمكن أن يُحسِن أبداً؟ كلا. فقد يَصْدُقُ لأن من مصلحته أن يفعل ذلك في موقف معيَّن؛ ولذلك فإن أبا سفيان -رضي الله عنه -علل صدقه لهرقل بقوله كما في صحيح البخاري: (فو الله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت)"(79). فأبو سفيان الذي لم يكن ملحدًا ولكنه كان مشركًا لم يعلل امتناعه عن الصدق اعتمادًا على شركه، وإنما اعتمادًا على مصلحته؛ لأنه كان يعيش في مجتمع يرى- رغم شركه- أنه من العيب أن يكذب رجل من سادة قومه. وكذلك الملحد قد يصدق؛ لأن الصدق في مصلحته الدنيوية، ولأن الكذب أو السرقة أو الخيانة تعرِّضه لإشانة السمعة أو للعقوبة أو لأي نوع من أنواع الخسارة المادية.

والخلاصة كما يقول العلامة الفرنسي سانتهيلر" لئن كانت الحاجات تقرب بين الناس، فإن المنافع تباعد بينهم، إذا لم تكن تزكي نار الحرب بينهم، وأيما جماعة قامت على الحاجات والمنافع فهي آيلة إلى تخاذل واضمحلال"(80). وهذا كله يدحض فكرة اعتبار المنفعة معيارًا للأخلاق. .

ثانيا العقل:

لا يصلح الادعاء بأن العقل المطلق يصلح أن يكون معيارًا للقيم والأخلاق لأن فيه مغالطة بيانها كما يلي:

1- "من يدعي اعتماد العقل معيارًا أساسيًّا وحكمًا فصلاً يغيب عنه أن ادعاءه هذا لا يمر إطلاقًا إلا بنوع من الإيمان الذي يجعله يُصدِّق بقيمة العقل وأفضليته على كل ما سواه، لكن ينبغي الانتباه إلا أن الإيمان يمتنع أن يكون العقل مصدره (مغالطة الدور: العقل أساس إيمانه بنفسه!!) فلا يبقى إذا إلا أن يؤسس العقل على ما سواه، أي على شيء من خارجه: إما على ما هو دونه من العقل (كما يتجلى بالخصوص في الهوى) وإما على ما هو فوقه وهو ما يكون عقلاً أعلى منه وارشد، ولو أن الملحد تبين حقًا هذا الأمر لانتهى إلى مواجهة أول إحراج أساسي،

إحراج لا مخرج له منه إلا بمراجعة تصوره الضيق ل"العقل" بل لتوقف بشأن الخوض في الألوهية فقنع تواضعًا بالقول "لا أدي" كما هو دأب بعض كبار العقلاء (81).

2- الاعتماد على العقل المطلق كمعيار يوجد إمكانية الرجوع عن الإيمان بالأخلاق وعدم ثباتها بما يهدد المنظومة الخلقية للمجتمع، "فالذي يخلق المبادئ بعقله قد يتشكك فيها، قد يقول لنفسه: ما الذي يلزمني بهذا؟ ولماذا أضحي بلذتي وسعادتي وجميع الفوائد الأخرى من أجل بضعة أفكار؟"(82).

ثالثا: العلم

يعتمد أصحاب هذا الرأي على العلم حيث يعتقد المؤمنون به على قدرته على أن يكون معيارا للأخلاق، يقول سام هارس في كتابه " المشهد الأخلاقي" إن العلم قادر على تحديد القيم الأخلاقية الحسنة والقبيحة. وبمثله قال مايكل شرمر "(83).ويقول سام هارس أيضا: " القيم الأخلاقية هي التي ترتقي بعافية الإنسان، وبما أن العلم قادر على إخبارنا بما يحقق العافية فهو قادر على تحديد القيم الأخلاقية الحسنة والقبيحة"(84).

كما أن أوجست كونت رفض الأخلاق القائمة على المنفعة والقائمة على الواجب واستبدلهما بالأخلاق القائمة على الأخلاق الوضعية القائمة على العلم الوضعي المبني على الملاحظة وعلى ما هو كائن لا على ما ينبغي أن يكون، وأن الأخلاق نسبيَّة، وتستمد نسبيتها من نسبيَّة المعرفة، وليس لها طابع مطلق" (85).

تعقيب:

وللرد على هذا أقول:

1- إن هذا الكلام غير صحيح؛ فهناك فارق عظيم بين العلم والأخلاق، فالعلم يُعنى بما هو كائن، أما الأخلاق فتُعْنَى بما ينبغي أن يكون. ويستحيل أن تخضع الأخلاق للعلم؛ لأنها تتنافي مع معناها، فالعلم وصف للواقع والأخلاق إلزام في المستقبل، واستشراف له، وتحديد لآليات التعامل معه. وهذا تباين واضح بين اعتماد الملحد في فلسفته الإلحادية على الواقع، واعتماد المؤمن في فلسفته الأخلاقية الإيمانية على الدين.

وبهذا تكون المرحلة الأولى في نقض الفكر الإلحادي القائل بمعيارية العلم للعمل الأخلاقي هو نقض نظريتهم في المعرفة، لأن على أساسها تم بناء نظرتهم للأخلاق، وذلك من خلال بيان حقيقة الإنسان وإرادته ومكانة العقل والغريزة واللذة لديه، وأرى أن هذه التخبط في فهم هذه الأسس على

الوجه الصحيح هي التي انحرفت بالفكر الإنساني عن المسار الصحيح الذي أرست معالمه الشرائع السماوية وما من انحراف حدث للبشرية إلا وهو نتاج للخطأ في هذه النظرية المعرفية.

2- العجز الواضع عن وضع أسس علمية للأخلاق وهذا بدوره يفضي إلى خطأ من يزعم بمعيارية العلم للأخلاق. يقول أينشتين: "لا شك أن هناك أسسًا أخلاقية للعلم، لكننا لا نستطيع أن نتحدث عن أسس علمية للأخلاق. لقد فشلت وستفشل كل محاولات إخضاع الأخلاق لقوانين العلم ومعادلاته، ومن ثم لا يمكن أن يكون العلم مصدرًا للأخلاق. ويقول هولمز رولستون " لقد جعلنا العلم أكثر معرفة وأكثر قوة، لكنه تركنا في الوقت نفسه أقل ثقة بالصواب والخطأ"(86).

الخاتمة:

بعد استعراض فلسفة الأخلاق بين الفكرين الإسلامي والإلحادي من حيث المصدر والمعيار تبين ما يلي:

1- تحتل الأخلاق منزلة كبيرة في الفكر الفلسفي الإسلامي استنادًا إلى منزلتها في الدين نفسه، فهي لبَّ الإسلام وغايته.

2- لا تبدوا معالم النظام الأخلاقي واضحة في الفكر الإلحادي، ولذلك انهارت مكانة الأخلاق لدى رواد الفكر الإلحادي، وتبين من خلال إيراد ومناقشة أقوال رواد الفكر الإلحادي خطر الإلحاد على الأديان كافة وعلى الأفراد المجتمعات.

3- تعتمد الأخلاق في الفكر الفلسفي الإسلامي على مصدري الإسلام الأول القرآن الكريم والسنة المطهرة كمصدر للأخلاق ولا تتجاهل المصادر الأخرى الفرعية شريطة عدم مخالفتها للوحي.

4- تتباين الأقوال حول مصدر الأخلاق في الفكر الإلحادي مما يبين الاضطراب الفكري لدى أصحاب هذا الفكر، وإن كان الاعتماد على العقل والمنفعة والضمير والمجتمع أبرز مصادر الأخلاق عندهم، وقد تبين فساد ذلك من خلال المناقشة في ثنايا البحث.

5- تُعَدُّ المعايير الأخلاقية وتعيينها نقطة خلاف بين الفكرين الإسلامي والإلحادي وهذا وإن ظهر كأمر طبيعي نظرًا لاختلاف المصدر، فهو كذلك نقطة ضعف لدى رواد الفكر الإلحادي، حيث توجد مآخذ على هذه المعايير تجعلها غير قابلة للتسليم بالاعتماد عليها واعتمادها معايير ضابطة للأخلاق كمنظومة شاملة وكاملة ومطلقة.

6- اعتماد الفكر الإسلامي في إقرار المنظومة الأخلاقية على الدين ضمن لهذه المعايير الثبات والعموم كما ضمن لها الإطلاق والقداسة.

7- تباين سلطة الإلزام والمسائلة بين الفكرين الإسلامي والإلحادي وضحت عدم القدرة على التفلُّت من العقاب عند وجود المخالفة الأخلاقية في النظام المعتمد على الفكر الإسلامي، كما أظهرت في الوقت ذاته القدرة على التفلُّت من العقاب عند رواد الفكر الإلحادي نظرًا لاعتماده على سلطة مادية دنيوية وعدم الاعتراف بوجود سلطة غيبية تتولى المراقبة والمحاسبة.

8- تتنوع العقوبات عند وجود الفساد الأخلاقي لدى رواد الفكر الإسلامي بين دنيويّة وأُخرويّة ونفسيّة وبدنيّة وفرديّة وجماعيّة؛ مما يبرز ويعزز الرغبة في تفادي الفساد الأخلاقي والسعي بالفرد والمجتمع نحو السمو الخلقي. وهذا بخلاف الفكر الإلحادي الذي لا يعتمد إلا على تأنيب الضمير أو القوانين المدنية، والتي من الممكن تجاوزها والالتفاف عليها، وعدم التقيد بها بما يؤثر على الالتزام بما تقره المنظومة الأخلاقية من سلوكيات.

المراجع:

- إبراهيم، زكريا، كانت أو **الفلسفة النقدية** (القاهرة: مكتبة مصر، ط، 1972)
- ابن تيمية، محمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ط: مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، السعودية، 1416هـ، 1995م.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (مصر: ط: مؤسسة الرسالة، أولى 1421هـ 2001م) 513/14.
- آل شبير، الخاقاني، علم الأخلاق بين النظرية والتطبيق (بيروت: دار الهلال، ط1، 1987)
- بدوي، د. عبد الرحمن، الأخلاق النظرية (الكويت: وكالة المطبوعات، ط: 1، 1975م)
- التميمي، رشود عمر، تأملات في البواعث النفسية للإلحاد (السعودية: إصدار مركز الفكر المعاصر، ط: دار الوعي للنشر والتوزيع، ط: أولى 1437هـ)
- جارودي، روجيه، المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر: ترجمة د. محمد غلاب ومراجعة د. إبراهيم بيومي مدكور (مصر: ط الأنجلو المصرية سنة 1958)
- جوتييه، ليون، مدخل لدراسة الفلسفة، ترجمة: محمد يوسف موسى (مصر: دار الكتب الأهلية 1364هـ-1945م)
- حلمي، د. مصطفي، الأخلاق بين الفلسفة وعلماء الإسلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ط: 1، 2004م 1424هـ)
- خليل، د. عماد الدين، الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي "قراءات " (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1، 1418هـ-1997م)

- دراز، د. محمد عبد الله، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (الكويت: دار القلم 1393هـ-1973م)
- دراز، د. محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوي دار البحوث العلمية- (بيروت: مؤسسة الرسالة 1393هـ- 1973م)
- دراز، د. محمد عبد الله، نظرات في الإسلام، تحقيق محمد موفق البيانوني (حلب: مكتبة الهدى، 1392هـ-1972)
- ديورانت، ول بريل، قصة الحضارة تقديم: د. محي الدين صابر، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، بيروت: ب.ت)، 214/38.
- روسو، جون جاك، قرار الإيمان، ترجمة: نجيب المستكاوي (مصر: دار المعارف، ط1، 1954)
- سرور، هيثم - طلعت علي، كهنة الإلحاد، د. تقديم عبد الله بن سعيد الشهري، كتاب منشور على النت http: //www.muslim-library.com.
- السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين (الرياض: 1402هـ-1982))
- سينغر، الملحد بيتر، الإلحاد وجماع الحيوانات، موقع: Atheism and Bestiality - Atheist Peter Singer https: //www.youtube.com/watch?v=2pG01ASbgyM
- شريف، د عمرو، خرافة الإلحاد (مصر: ط مكتبة الشروق الدولية ط: 3، 1436هـ- 2015م)
- شلبي، رؤوف، آلهة في الأسواق دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق (الكويت: ط: دار القلم، ط2، 1403هـ - 1983)
- صحيح البخاري، محمد بن عبدالله بن إسماعيل البخاري، ط: دار طوق النجاة أولى 1422هـ
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (بيروت ط: دار إحياء التراث العربي، د.ن)
- طلعت، هيثم، الإلحاد يسمم كل شيء، (مصر: نيو لوك للنشر والتوزيع، ط: 1، 2015م)
- الطويل، توفيق، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ط1، 1960)
- عبد الرحمن، طه، سؤال الاخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، عبد الرحمن، طه، سؤال الاخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية) بيروت: ط المركز الثقافي العربي، ط 5، 2013)
- عبد العال، د. حمدي، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، (ط دار القلم، ط: 3، 1405هـ - 1985)
- العجيري، عبد الله بن صالح شموع النهار إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي (المملكة العربية السعودية: ط: الدار العربية للطباعة والنشر، ط: أولى، 1437هـ-2016م)
- العجيري، عبد الله بن صالح ميليشيا الإلحاد، ميليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد (السعودية: دار تكوين للطباعة والنشر، ط: 1435هـ- 2014م)

- قاسم، د. محمود، مبادئ علم الاجتماع الديني، مقدمة كتاب روجيه باستيد، (مصر: ط الأنجلو المصرية، د.ت)
- الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تعليق وتقديم: محمد عمارة ط: دار الشروق (مصر: ط: 2 2009م)
- الكور، عبد الجليل تساؤلات التفلسف وتضليلات اللغوي، (الأردن: علام الكتب الحديث، إربد –2013)
- لوبون، جوستاف، حياة الحقائق: نقله للعربية عادل زُعيْتِر (مصر: دار العالم العربي، ط: 1، 1434هـ2013م)
- لوك، جون، رسالة في التسامح، ترجمة: منى أبو سنة، مراجعة: مراد وهبة، (مصر: ط: المجلس الأعلى للثقافة ط: 1: 1997م)
- مجلة براهين الإلكترونية لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية من منظور علمي فلسفي شرعي، العدد التجريبي يونيو 2015 م 1436هـ دورية فصلية دورية.
- محفوظ، نجيب، وطني مصر،، حوارات مع محمد سلماوي، ط: دار الشروق ط: ا، 1417هـ-1997م.
- محمد، منيرة، مبادئ الإلزام الخلقي عند روسو (مجلة دامعة دمشق – المجلد 18-3+4-2012)
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب تهذيب الأخلاق، (ط: الجمل أولى 2011م)
- مقال: مفهوم السببية في الفكر الإسلامي: أصوله الفكرية ونتائجه التطبيقية، د صبري محمد خليل، https: //drsabrikhalil.wordpress.com
- مقال: الأخلاق مهاة أهل الإيمان، د: هيثم طلعت، مجلة براهين الإلكترونية لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية مرجع سابق، http: //www.braheen.com/mag/0th/57-ethics-and-religion
- مقال: الملحد ودعواه نسبية الأخلاق: د ربيع احمد: http: //www.alukah
- ملحد يقول الاغتصاب أخلاقي http: //2.bp.blogspot.com/-bMJ8dqZgeaE/UKFMBWAn-
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قصة الحضارة ول وايريل ديورانت (دار الجيل للطبع والنشر، د.ت)
- موسى، محمد يوسف، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية (القاهرة: ط: 1، مؤسسة الخانجي 1963)
- هويدي، د. يحيى - حلمي، د. مصطفي، مقدمة في الفلسفة العامة (الرياض: مجلة الدرة. 1397هـ- 1977م)
- يالجن، مقداد، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973)

الهومش:

---

(1) ابن تيمية، محمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، باب الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، ط: مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، السعودية، 1416هـ، 1995م، 164/20.

(2) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (مصر : ط: مؤسسة الرسالة، أولى 1421هـ 2001م) 513/14. وقال صحيح وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح.

---

(3) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب تهذيب الأخلاق، (ط: الجمل أولى 2011م) ص 2.

(4) شلبي، رؤوف، آلهة في الأسواق دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق (الكويت: ط: دار القلم، ط2، 1403هـ- 1983) ص: 43.

(5) " **السببية هي مضمون السنن الإلهية، وهى قائمه على تحقق المسبب(المعلول) بتوافر السبب(العلة) وتخلف المسبب بغياب السبب " السببية التكوينية." (مفهوم السببية في الفكر الإسلامي: أصوله الفكرية ونتائجه التطبيقية، د صبري محمد خليل،** https://drsabrikhalil.wordpress.com

(6) "نسبية الأخلاق تَعني أن الأخلاق تتغير بتغير الزمان والمكان، والثقافة والأشخاص والمجتمع، فلا توجد أخلاق مطلَقة، وعليه فليس هناك صواب وخطأ أخلاقي؛ فقد يكون السلوك الأخلاقي محرمًا عند شخص، ولكنه محلل عند شخص آخر، وقد يكون السلوك محمودًا عند شخص ولكنه مذموم عند شخص آخر، وقد يكون الفعل من قبيل الرحمة عند شخص، وعند شخص آخر من قبيل القسوة، وقد يكون السلوك محمودًا في مجتمع، ولكنه مذموم في مجتمع آخر" انظر: الملحد ودعواه نسبية الأخلاق: د ربيع احمد: http://www.alukah)

(7) سرور، هيثم- طلعت علي، كهنة الإلحاد، د. تقديم عبد الله بن سعيد الشهري، ص 242. كتاب منشور على النت: http://www.muslim-library.com

(8) حسين، الإمام محمد الخضر، الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده، تقديم وتعليق: محمد إبراهيم الشيباني، (الكويت: مكتبة ابن تيمية 1406هـ) ص12.

(9) التميمي، رشود عمر، تأملات في البواعث النفسية للإلحاد (السعودية: إصدار مركز الفكر المعاصر، ط: دار الوعي للنشر والتوزيع، ط: أولى 1437هـ) ص24.

(10) العجيري، عبد الله بن صالح ميليشيا الإلحاد، ميليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد (السعودية: دار تكوين للطباعة والنشر، ط: 1435هـ- 2014م) ص: 148.

(11) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قصة الحضارة ول وايريل ديورانت (دار الجيل للطبع والنشر، د.ت) 27627/38.

(12) جارودي، روجيه، المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر: ترجمة د. محمد غلاب ومراجعة د. إبراهيم بيومي مدكور(مصر: ط الأنجلو المصرية سنة 1958) ص 3.

(13) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (بيروت ط: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، 2197/4. رقم: 2865.

(14) كهنة الإلحاد، ص 245، مرجع سابق.

(15) السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين (الرياض: 1402هـ- 1982)) ص: 58.

(16) كهنة الإلحاد، ص: 246، مرجع سابق.

(17) مجلة براهين الإلكترونية لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية من منظور علمي فلسفي شرعي، العدد التجريبي يونيو 2015 م 1436هـ دورية فصلية دورية، ص: 44.

(18) ملحد يقول الاغتصاب أخلاقي http://2.bp.blogspot.com/-bMJ8dqZgeaE/UKFMBWAn-

(19) طلعت، هيثم، الإلحاد يسمم كل شيء، (مصر: نيو لوك للنشر والتوزيع، ط: 1، 2015م) ص: 20.

---

(20) سينغر، الملحد بيتر، الإلحاد وجماع الحيوانات، موقع: Atheism and Bestiality- Atheist Peter Singer https://www.youtube.com/watch?v=2pG01ASbgyM

(21) مجلة براهين، ص: 44، مرجع سابق.

(22) كهنة الإلحاد، 234، مرجع سابق.

(23) الإلحاد يسمم كل شيء، ص: 15، مرجع سابق.

(24) يالجن، مقداد، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973) ص 54..

(25) بدوي، د. عبد الرحمن، الأخلاق النظرية (الكويت: وكالة المطبوعات، ط: 1، 1975م) ص: 94.

(26) بدوي، د. عبد الرحمن، الأخلاق النظرية ص: 96، مرجع سابق.

(27) خليل، د. عماد الدين، الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي "قراءات " (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1، 1418هـ- 1997م) ص: 63

(28) المرجع السابق، ص: 65، 66 مرجع سابق.

(29) دراز، د. محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوي دار البحوث العلمية- (بيروت: مؤسسة الرسالة 1393هـ- 1973م) ص: 52.

(30) لوبون، جوستاف، حياة الحقائق: نقله للعربية عادل زُعيْتِر (مصر: دار العالم العربي، ط: 1، 1434ه2013م) ص: 109.

(31) خليل، د. عماد الدين، الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي "قراءات "ص: 64، مرجع سابق.

(32) آل شبير، الخاقاني، علم الأخلاق بين النظرية والتطبيق (بيروت: دار الهلال، ط1، 1987) ص: 97.

(33) الطويل، توفيق، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ط1، 1960) 160/1.

(34) شريف، د عمرو، خرافة الإلحاد (مصر: ط مكتبة الشروق الدولية ط: 3، 1436هـ- 2015م) ص305.

(35) بدوي، د. عبد الرحمن، الأخلاق النظرية" روسو: عبد الرحمن ص: 184، مرجع سابق.

(36) روسو، جون جاك، قرار الإيمان، ترجمة: نجيب المستكاوي (مصر: دار المعارف، ط1، 1954) ص11.

(37) محمد، منيرة، مبادئ الإلزام الخلقي عند روسو (مجلة دامعة دمشق – المجلد 18-3+4-2012) ص391

(38) دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص 404، مرجع سابق.

(39) الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تعليق وتقديم: محمد عمارة ط: دار الشروق (مصر: ط: 2 2009م) ص 39.

(40) ميليشيا الإلحاد، ص: 152، مرجع سابق.

(41) خرافة الإلحاد، د عمرو شريف ص: 289 مرجع سابق.

(42) خرافة الإلحاد، ص: 296، مرجع سابق، بتصرف.

(43) المرجع السابق، ص: 300.

(44) المرجع السابق، ص: 297.

(45) قاسم، د. محمود، مبادئ علم الاجتماع الديني، مقدمة كتاب روجيه باستيد، (مصر: ط الأنجلو المصرية، د.ت) ص: 5.

(46) إبراهيم، زكريا، كانت **أو الفلسفة النقدية** (القاهرة: مكتبة مصر، ط، 1972) ص 206.

(47) **المرجع السابق**، ص: 3.

---

(48) عبد الرحمن، طـه، سؤال الاخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، عبد الرحمن، طـه، سؤال الاخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية) بيروت: ط المركز الثقافي العربي، ط 5، 2013) ص: 3، مرجع سابق

(49) العجيري، عبد الله بن صالح ميليشيا الإلحاد، ميليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد ص: 153، مرجع سابق.

(50) بدوي، د. عبد الرحمن، الأخلاق النظرية ص: 97. مرجع سابق

(51) عبد الرحمن، طه، سؤال الاخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ص: 39.مرجع سابق.

(52) محفوظ، نجيب، وطني مصر ص: 65.مرجع سابق.

(53) انظر مقال: الأخلاق مبهاة أهل الإيمان، د: هيثم طلعت، مجلة براهين الإلكترونية لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية مرجع سابق، http://www.braheen.com/mag/0th/57-ethics-and-religion

(54) مقال: الأخلاق مبهاة أهل الإيمان، د: هيثم طلعت، المرجع السابق.

(55) ديورانت، ول بريل، قصة الحضارة تقديم: د. محي الدين صابر، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، بيروت: ب.ت)، 214/38.

(56) ديورانت، ول بريل، قصة الحضارة، ص: (ك – و) مرجع سابق.

(57) محفوظ، نجيب، وطني مصر، حوارات مع محمد سلماوي، ط: دار الشروق ط: ا، 1417هـ-1997م، ص: 65.

(58) الكور، عبد الجليل، لماذا لست ملحدا. في إمكانات التعليل العقلي، بيروت: مكتبة مؤمن قريش، ط"1، 2016م ص: 21.

(59) جوتييه، ليون، مدخل لدراسة الفلسفة، ترجمة: محمد يوسف موسى (مصر: دار الكتب الأهلية 1364هـ- 1945م) ص 89- 91، بتصرف.

(60) هويدي، د. يحيى- حلمي، د. مصطفي، مقدمة في الفلسفة العامة (الرياض: مجلة الدرة. 1397هـ- 1977م) ص 214.

(61) عبد العال، د. حمدي، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، (ط دار القلم، ط: 3، 1405هـ- 1985) ص: 50.

(62) عبد العال، د. حمدي، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، ص: 27، 28. مرجع سابق.

(63) موسى، محمد يوسف، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية (القاهرة: ط: 1، مؤسسة الخانجي 1963) ص"35.

(64) عبد العال، د حمدي، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، ص: 103 مرجع سابق.

(65) عبد العال، د حمدي، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، من ص: 103- 139، بتصرف

(66) دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ص: 180.مرجع سابق.

(67) دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص 36-42 بتصرف. مرجع سابق.

(68) دراز، د. محمد عبد الله، نظرات في الإسلام، تحقيق محمد موفق البيانوني (حلب: مكتبة الهدى، 1392هـ- 1972) ص 113 بتصرف.

(69) دراز، د. محمد عبد الله، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (الكويت: دار القلم 1393هـ- 1973م) ص 105، 127، 128 (بتصريف).

(70) طلعت، د هيثم، الإلحاد يسمم كل شيء، ص: 17 مرجع سابق.

(71) طلعت، د هيثم، الإلحاد يسمم كل شيء، ص: 19، مرجع سابق.

(72) العجيري، عبد الله بن صالح ميليشيا الإلحاد، ميليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد، ص: 153، مرجع سابق.

(73) العجيري، عبد الله بن صالح ميليشيا الإلحاد، ميليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد، ص: 149، مرجع سابق.

(74) شريف، د عمرو خرافة، الإلحاد، ص302، مرجع سابق.

---

(75) المرجع السابق، ص302.

(76) طلعت، د/هيثم، الإلحاد يسمم كل شيء، ص: 88، 89. مرجع سابق.

(77) لوك، جون، رسالة في التسامح، ترجمة: منى أبو سنة، مراجعة: مراد وهبة، (مصر: ط: المجلس الأعلى للثقافة ط: 1: 1997م) ص 57.

(78) سرور، هيثم طلعت علي كهنة الإلحاد، مرجع سابق، ص 344.

(79) صحيح البخاري، محمد بن عبد الله بن إسماعيل البخاري كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ج: 1، ط: دار طوق النجاة أولى 1422هـ، ص: 8.

(80) عبد العال، د حمدي، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، ص: 58، مرجع سابق.

(81) الكور، عبد الجليل تساؤلات التفلسف وتضليلات اللغوي، (الأردن: علام الكتب الحديث، إربد –2013) ص: 27–34.

(82) محفوظ، نجيب، وطني مصر ص: 65.مرجع سابق.

(83) العجيري، عبد الله بن صالح ميليشيا الإلحاد، ميليشيا الإلحاد، مدخل لفهم الإلحاد الجديد، ص 151، مرجع سابق.

(84) العجيري، عبد الله بن صالح شموع النهار إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي (المملكة العربية السعودية: ط: الدار العربية للطباعة والنشر، ط: أولى، 1437هـ–2016م) ص: 64.

(85) حلمي، د. مصطفي، الأخلاق بين الفلسفة وعلماء الإسلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ط: 1، 2004م 1424هـ) ص 74.

(86) شريف، د عمرو، خرافة الإلحاد، ص: 306، مرجع سابق.